Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما نثرية الموشح ، نتيجة لهذا الخلط فى المستويات اللغوية ، فلنا عود إليها مرة أخرى عند الحديث عن تعدد الأصوات والحوارية فى التناص ، وسنجد أنها ليست نثرية الكلام الدارج كما توهم الدكتور إحسان ، ولكنها لون من الشعرية مخالف لما تعهده القصيدة من شعرية المستوى اللغوى الواحد ، وحسبنا الآن أن نتأمل دلالة هذا الانحراف اللغوى عن عمود الشعر العربى ، وهو دلالة عريضة نجتزىء منها بملمحين : أحدهما يتعلق باستجابة هذا التطور للمتغيرات التاريخية ولأبنية الوعى الإجتماعى ، وقد فطن ابن خلدون إلى الملمح الأول عندما جعل الزجل استفحالا وتفاقما لسهولة الموشح وعامية بعض أجزائه فقال: " ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وترصيع أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا فى طريقته ، بلغتهم الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيها إعراباً ، واستحدثوه فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة " (١٢).

وقد يختلف الباحثون المحدثون مع ابن خلدون فى تصور طبيعة هذا التوالد بين الأجناس، إلا أنهم لابد أن يحمدوا له صبغة الشرعية التى يضفيها على الفنون المهجنة ، عندما يتحدث عن بلاغتها ، ويصف لغتها طبقا لمعجمه الخاص بأنها حضرية . واللافت للنظر ، أن نقاد التوشيح ، وعلى رأسهم ابن بسام ، مع قلة إشاراته وكثافتها ، وابن سناء الملك المنظر الدقيق ، قد فطنوا لخاصية القصد فى تداخل المستويات اللغوية ، فيقول ابن بسام عن الموشح الأول : " يأخذ اللفظ العامى والعجمى ، ويسميه المركز ، ويضع عليه الموشحة " هذا هو الأمر البارز فى عمل الوشاح عنده ، الاتكاء على القطعة العامية أو الأعجمية وبناء الموشح فوقها ، أما ابن سناء الملك فيضع شروط الخرجة ويعدد وظائفها قائلا : -

" والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح ، والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ، ولغات الداصة - أى اللصوص - فان كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها